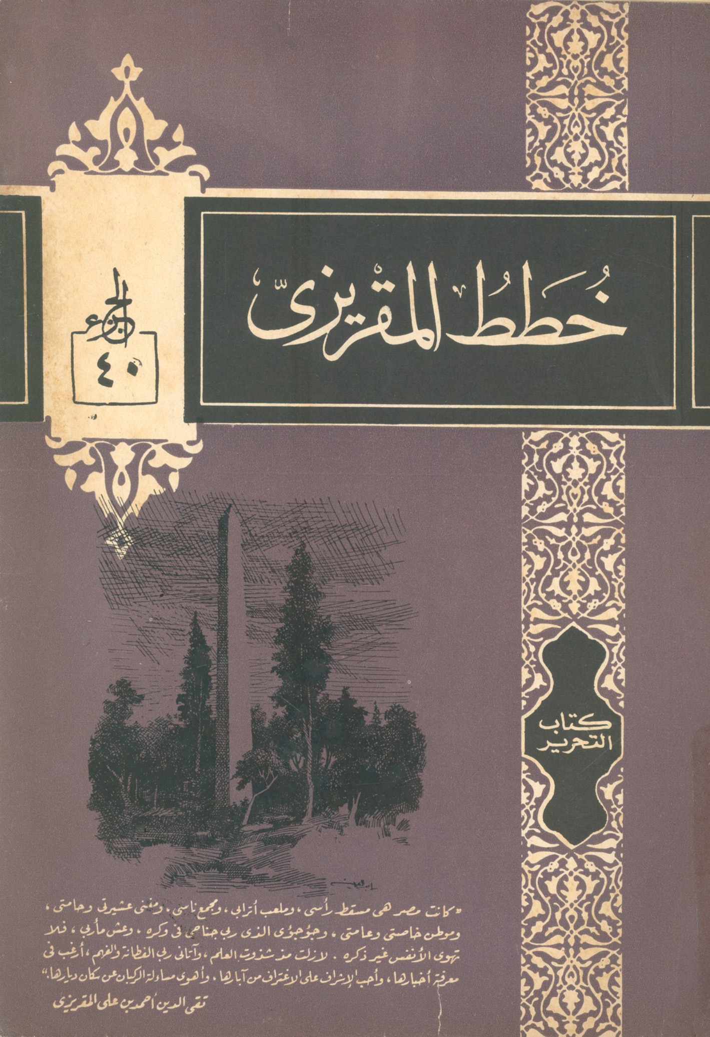


خطط المقريزى
الجزء
٤٠
كتاب التحرير
«كانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ، ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى وحامتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش مأربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره . لازلت مذ شذوت العلم ، وآتانى ربى الفطانة والفهم ، أرغب فى معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الاعتراف من آثارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها.»
تقى الدين أحمد بن على المقريزى

والطائفة الرابعة : الطبائعيون .

والطائفة الخامسة : الصابئة القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وانكار النبوات ، وهم أصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ، ومنهم أصحاب الروحانيات ، وهم عباد الكواكب وأصنامها التى عملت على تمثالها .

والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ، ومنها ما وجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ، ويقرون بنبوة ابراهيم وأنه منهم . وهم طوائف : الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ، ومن قوله أن الحق فى الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام . ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الأصغر ، ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وأن النبوة من أسرار الالهية . ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن أرفخشد ، ويقر بنبوة نوح .

ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ، ويرون أن الشمس اله كل اله . والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات ، وكثير بالأشخاص فى رأى العين ، وهى : المدبرات السبع من الكواكب ، والأرضية الجزئية ، والعاملة الفاضلة .

والطائفة السادسة : اليهود .

والسابعة : النصارى .

والثامنة : أهل الهند القائلون بعبادة الأصنام ، ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم . ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم أعظم حكامهم ، والمهندم قبله ، والبراهمة قبل ذلك ... فالبراهمة أصحاب برهام أول من أنكر نبوة البشر .

ومنهم البردة : زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية ، وأصحاب الرياضة التامة ، وأصحاب التناسخ . وهم أقسام : أصحاب الروحانية ، والبهادرية ، والناسوتية ، والباهرية ، والكابلية أهل الجبل ، ومنهم الطبسيون ، أصحاب الرياضة الفاعلة ، حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده ، فيصعد فى الهواء على قدر قوته .

وفى اليهود : عباد النار ، وعباد الشمس والقمر والنجوم ، وعباد الأوثان .

والطائفة التاسعة : الزنادقة ، وهم طوائف منهم القرامطة .

والعاشرة : الفلاسفة أصحاب الفلسفة . وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، فان فيلو محب ، وسوفا حكمة ، والحكمة قولية وفعلية ، وعلم الحكماء انحصر فى أربعة أنواع : الطبيعى ، والمدنى ، والرياضى ، والالهى . والمجموع ينصرف الى : علم ما ، وعلم كيف ، وعلم كم . فالعلم الذى يطلب فيه ماهيات الأشياء هو الالهى ، والذى يطلب فيه كيفيات الأشياء هو الطبيعى ، والذى يطلب فيه كميات الأشياء * هو الرياضى .

ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق ، وكانت بالقوة فى كلام القدماء ، فأظهرها ورتبها .

(*) ص٣٤٤ جـ٢ ، ط.بولاق .

واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند — وهم الطبيون والبراهمة — ولهم رياضة شديدة ، وينكرون النبوة أصلا . ويطلق أيضا على العرب بوجه أنقص ، وحكمتهم ترجع الى أفكارهم والى ملاحظة طبيعية ، ويقرون بالنبوات ، وهم أضعف الناس في العلوم .

ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات : فمنهم أساطين الحكمة وهم أقدمهم ، ومنهم المشاءون ، وأصحاب الرواق ، وأصحاب أرسطو ... وفلاسفة الاسلام .

فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين الحكمة — أهل ملطية وقونية — وهم : تاليس الملطى ، وانكساغورس ، وانكسمالس وابنادقيس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون . ودون هؤلاء : فلوطس ، وبقراط وديمقراطيس ، وأسعر ، والنساس .

ومنهم حكماء الأصول من القدماء ، ولهم القول بالسيمياء ، ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والأسماء الفعالة والحروف ، ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين . وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم ، فلذلك تركناها .

القسم الثانى : فرق أهل الاسلام الذين عناهم النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة : ثنتان وسبعون هالكة ، وواحدة ناجية » .

وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افترقت اليهود على احدى وسبعين (أو اثنتين وسبعين) فرقة ، وتفرقت النصارى على احدى وسبعين (أو اثنتين وسبعين) فرقة ؛ وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » . قال البيهقى : حسن صحيح .

وأخرجه الحاكم وابن حبان فى صحيحه بنحوه . فأخرجه فى المستدرك من طريق الفضل ابن موسى ، عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة به ، وقال : هذا حديث كثير فى الأصول .

وقد روى عن سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وعوف بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله . وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل ابن موسى ، وهو ثقة .

واعلم أن فرق المسلمين خمسة : أهل السنة والمرجئة ، والمعتزلة ، والشيعة ، والخوارج . وقد افترقت كل فرقة منها على فرق : فأكثر افتراق أهل السنة فى الفتيا ، ونبذ يسيرة من الاعتقادات . وبقية الفرق الأربع : منها من يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ، ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب .

فأقرب فرق المرجئة من قال : الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط ، وان الأعمال انما هى فرائض الايمان وشرائعه فقط ، وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام . وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسى ، وأبعدهم أصحاب أبى الهذيل العلاف .

وأقرب مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وأبعدهم الامامية . وأما الغالية فليسوا بمسلمين ، ولكنهم أهل ردة وشرك . وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضى ، وأبعدهم الأزارقة . وأما البطيخية ومن جحد شيئا من القرآن ، أو فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم ، فكفار باجماع الأمة .

وقد انحصرت الفرق الهالكة فى عشر طوائف :

« الفرقة الأولى المعتزلة » : الغلاة فى نفى الصفات الالهية ، القائلون بالعدل والتوحيد ، وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده ، وأكثرهم على أن الامامة بالاختيار . وهم عشرون فرقة :

احداها الواصلية : أصحاب واصل بن عطاء أبى حذيفة الغزال — مولى بنى ضبة ، وقيل مولى بنى مخزوم — ولد بالمدينة سنة ثمانين ، ونشأ بالبصرة ، ولقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصرى ، وأكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات ، فيصرف اليهن صدقته ، فقيل له الغزال من أجل ذلك .

وكان طويل العنق جدا ، حتى عابه عمرو بن عبيد بذلك ، فقال : من هذه عنقه لا خير عنده . فلما برع واصل قال عمرو : ربما أخطأت الفراسة . وكان يلثغ بالراء ، ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد أخذ بجوامعه ، فلذلك أمكنه أن أسقط حرف الراء من كلامه . واجتناب الحروف صعب جدا ، لا سيما مثل الراء لكثرة استعمالها .

وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء ، أحد بدائع الكلام ، وكان لكثرة صمته يظن به الخرس ، توفى سنة احدى وثلاثين ومائة . وله كتاب المنزلة بين المنزلتين ، وكتاب الفتيا ، وكتاب التوحيد ، وعنه أخذ جماعة ، وأخباره كثيرة . ويقال لهم أيضا الحسنية ، نسبة الى الحسن البصرى .

وأخذ واصل العلم عن أبى هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية ، وخالفه فى الامامة . واعتزاله يدور على أربع قواعد هى : نفى الصفات ، والقول بالقدر ، والقول بمنزلة بين المنزلتين ، وأوجب الخلود فى النار على من ارتكب كبيرة .

فلما بلغ الحسن البصرى عنه * هذا ، قال : هؤلاء اعتزلوا ... فسموا من حينئذ المعتزلة . وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن ، وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن ، وجلس قتادة مجلسه ، اعتزله فى نفر معه ، فسماهم قتادة المعتزلة .

القاعدة الرابعة : القول بأن احدى الطائفتين من أصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها . وكان فى خلافة هشام بن عبد الملك .

والثانية العمروية : أصحاب عمرو ، ومن قوله ترك قول على بن أبى طالب وطلحة والزبير رضى الله عنهم . وقال ابن منبه : اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن ، فسموا المعتزلة .

والثالثة الهذلية : أتباع أبى الهذيل محمد ابن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة . أخذ عن

(*) ص٣٤٥ جـ٢ ، ط. بولاق .

عثمان بن خالد الطويل ، عن واصل بن عطاء ، ونظر في الفلسفة ، ووافقهم في كثير ، وقال : جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان .

وانفرد بعشر مسائل وهي : أن علم الله وقدرته وحياته هي ذاته ، وأثبت ارادات لا محل لها يكون البارى مريدا لها . وقال : بعض كلام الله لا في محل وهو قوله كن ، وبعضه في محلٍ كالأمر والنهي . وقال في أمور الآخرة كمذهب الجبرية . وقال : تنتهي مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شيء ، ولا على افناء شيء ، ولا احياء شيء ، ولا اماتة شيء ، وتنقطع حركات أهل الجنة والنار ، ويصيرون الى سكون دائم .

وقال : الاستطاعة عرض من الأعراض نحو السلامة والصحبة ، وفرّق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح . وقال : تجب معرفة الله قبل ورود السمع ، وان المرء المقتول ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ، ولا يزاد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق . وقال : ارادة الله عين المراد ، والحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين .

والرابعة النظامية : أتباع ابراهيم بن سيار النظام — بتشديد الظاء المعجمة — زعيم المعتزلة ، وأحد السفهاء . انفرد بعدة مسائل ، وهي قوله : ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وانها غير مقدورة لله . وقال : ليس لله ارادة ، وأفعال العباد كلها حركات ، والنفس والروح هو الانسان ، والبدن انما هو آلة فقط ، وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله .

وأنكر الجوهر الفرد ، وأحدث القولَ بالطفرة ، وقال : الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ، وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ما هي عليه ، وأن الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط ، وأنكر أن يكون الاجماع حجة ، وطعن في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقال قبحه الله : أبو هريرة أكذب الناس ، وزعم أنه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنع ميراث العترة ، وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع ، وحرم نكاح الموالي العربيات ، وقال : لا تجوز صلاة التراويح ، ونهى عن ميقات الحج ، وكذب بانشقاق القمر ، وأحال رؤية الجن ، وزعم أن من سرق مائتي دينار فما دونها لم يفسق ، وأن الطلاق بالكتابة لا يقع وان كان بنية ، وأن من نام مضطجعا لا ينتقض وضوؤه ما لم يخرج منه الحدث ، وقال : لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت .

والخامسة الأسوارية : أتباع أبي على عمرو ابن قائد الأسوارى ، القائل ان الله تعالى لا يقدر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله .

والسادسة الاسكافية : أتباع أبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي . ومن قوله : ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ، ويقدر على ظلم الأطفال والمجانين ، وانه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنابير ، وان كان هو الذي خلق أجسامها .

والسابعة الجعفرية : أتباع جعفر بن حرب ابن ميسرة . ومن قوله : ان في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى

والمجوس ، وأسقط الحد عن شارب الخمر ، وزعم أن الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار ، وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها ، فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ، ويكون وطؤه اياها طلاقا لها .

والثامنة البشرية : أتباع بشر بن المعتمر . ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة ، وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال : لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك ، وقال : ارادة الله من جملة أفعاله ، ثم هى تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات ، وقال باللطف المخزون ، وأن الله لم يخلقه لأن ذلك يوجب عليه الثواب ، وأن التوبة الأولى متوقفة على الثانية ، وأنها لا تنفع الا بعدم الوقوع فى الذى وقع فيه ، فان وقع لم تنفعه التوبة الأولى .

والتاسعة المزدارية : أتباع أبى موسى عيسى ابن صبيح — المعروف بالمزدار — تلميذ بشر بن المعتمر . وكان زاهدا ، وقيل له راهب المعتزلة ، وانفرد بمسائل : منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك فى الربوبية ، وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد ، وزعم أن القرآن مما يقدر عليه ، وأن بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس ، بل يقدرون على الاتيان بمثلها وأحسن منها . وهو أصل المعتزلة فى القول بخلق القرآن ، وقال : من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف فهو كافر ، والشاك فى كفره كافر أيضا .

والعاشرة الهشامية : أتباع هشام بن عمرو الفوطى الذى يبالغ فى القدر ، ولا ينسب الى الله فعلا من الأفعال * . حتى انه أنكر أن يكون الله هو الذى ألف بين قلوب المؤمنين ، وأنه يحبب الايمان للمؤمنين ، وأنه أضل الكافرين . وعاند ما فى القرآن من ذلك ، وقال : لا تنعقد الامامة فى زمن الفتنة واختلاف الناس ، وان الجنة والنار غير مخلوقتين ، ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقال : لأن الوكيل دون الموكل .

وقال : لو أسبغ أحد الوضوء ، ودخل فى الصلاة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها ، وركع وسجد مخلصا فى ذلك كله ، الا أن الله علم أنه يقطعها فى آخرها ، فان أول صلاته معصية . ومنع أن يكون البحر انفلق لموسى ، وأن عصاه انقلبت حية ، وأن عيسى أحيا الموتى باذن الله ، وأن القمر انشق للنبى صلى الله عليه وسلم . وأنكر كثيرا من الأمور التى تواترت ، كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة ، وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ، ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله .

وقال : ان طلحة والزبير وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ما جاءوا للقتال فى حرب الجمل ، وانما برزوا للمشاورة ، وتقاتل أتباع الفريقين فى ناحية أخرى . وان الأمة اذا اجتمعت كلها ، وتركت الظلم والفساد ، احتاجت الى امام يسوسها ، فأما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لأحد . وبنى على ذلك أن امامة على رضى الله عنه

(*) ص٢٤٦ جـ٢ ، ط.بولاق .

لم تنعقد ، لأنها كانت فى حال الفتنة بعد قتل عثمان — وهو أيضا مذهب الأصم ، وواصل ابن عطاء ، وعمرو بن عبيد — وأنكر افتضاض الأبكار فى الجنة ، وأنكر أن الشيطان يدخل فى الانسان ، وانما يوسوس له من خارج ، والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم . وقال : لا يقال خلق الله الكافر لأنه اسم العبد والكفر جميعا ، وأنكر أن يكون فى أسماء الله الضار النافع .

والحادية عشرة الحائطية : أتباع أحمد ابن حائط ، أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام ، وله بدع شنيعة : منها أن للخلق الهين : أحدهما خالق وهو الاله القديم ، والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم . وزعم أن المسيح ابن الله ، وأنه هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة ، وأنه هو المعنى بقول الله تعالى فى القرآن « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » . وزعم فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » أن معناه خلقه اياه على صورة نفسه ، وأن معنى قوله عليه السلام « انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » انما أراد به عيسى .

وزعم أن فى الدواب والطيور والحشرات ، حتى البق والبعوض والذباب ، أنبياء لقول الله سبحانه « وان من أمة الا خلا فيها نذير » ، وقوله تعالى « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه ، الا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » .

وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ ، وزعم أن الله ابتدأ الخلق فى الجنة ، وانما خرج من خرج منها بالمعصية . وطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه ، وقال : ان أبا ذر الغفارى أنسك وأزهد منه ... قبحه الله . وزعم أن كل من نال خيرا فى الدنيا انما هو بعمل كان منه ، ومن ناله مرض أو آفة فبذنب كان منه . وزعم أن روح الله تناسخت فى الأئمة .

والثانية عشرة الحمارية : أتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم . ومن مذهبهم أن الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر ، وأن النظر أوجب المعرفة وهو لا فاعل له ، وكذلك الجماع أوجب الولد فشك فى خالق الولد ، وأن الانسان يخلق أنواعا من الحيوانات بطريق التعفين . وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة .

والثالثة عشرة المعمرية : أتباع معمر بن عباد السلمى ، وهو أعظم القدرية غلوا ، وبالغ فى رفع الصفات والقدرة بالجملة ، وانفرد بمسائل : منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه ، والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ، ولا ذى لون وتأليف وحركة ، ولا حال ولا متمكن ، وأن الانسان شىء غير هذا الجسد ، وهو حى عالم قادر مختار ، وليس هو بمتحرك ، ولا ساكن ، ولا متلون ، ولا يرى ، ولا يلمس ، ولا يحل موضعا ، ولا يحويه مكان . فوصف الانسان بوصف الالهية عنده ، فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك .

وزعم أن الانسان منعم فى الحياة ، وموزر فى النار ، وليس هو فى الجنة ولا فى النار حالا ولا متمكنا . وقال : ان الله لم يخلق غير الأجسام ، والأعراض تابعة لها متولدة منها ، وأن الأعراض لا تتناهى فى كل نوع ، وأن الارادة من الله للشىء غير الله وغير خلقه ، وأن الله ليس بقديم لأن ذلك أخذ من قدم يقدم فهو قديم .

والرابعة عشرة الثمامية : أتباع ثمامة بن أشرس النميرى . وجمع بين النقائض ، وقال : العلوم كلها ضرورية ، فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها ، وهو كالبهائم ونحوها . وزعم أن اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم ، لا ثواب لهم ، ولا عقاب عليهم ألبتة ، لأنهم غير مأمورين ، اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى . وزعم أن الأفعال كلها متولدة لا فاعل لها ، وأن الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح ، وأن العقل هو الذى يحسن ويقبح ، فتجب معرفة الله قبل ورد الشرع * ، وأن لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث .

والخامسة عشرة الجاحظية : أتباع أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وله مسائل تميز بها عن أصحابه : منها أن المعارف كلها ضرورية ، وليس شىء من ذلك من أفعال العباد ، وانما هى طبيعية ، وليس للعباد كسب سوى الارادة ، وأن العباد لا يخلدون فى النار بل يصيرون من طبيعتها ، وأن الله لا يدخل أحدا النار ، وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها ، وأن القرآن المنزل من قبيل الأجساد ، ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا ، وأن الله لا يريد المعاصى ، وأنه لا يرى ، وأن الله يريد بمعنى أنه لا يغلط ، ولا يصح فى حقه السهو فقط ، وأنه يستحيل العدم على الجواهر من الأجسام .

(*) ص٢٤٧ جـ٢ ، ط. بولاق .

والسادسة عشرة الخياطية : أصحاب أبى الحسين بن أبى عمرو الخياط ، شيخ أبى القاسم الكعبى ، من معتزلة بغداد . زعم أن المعدوم شىء ، وأنه فى العدم جسم ان كان فى حدوثه جسما ، وعرض ان كان فى حدوثه عرضا .

والسابعة عشرة الكعبية : أتباع أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى ، المعروف بالكعبى ، من معتزلة بغداد . انفرد بأشياء : منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ، ولا هو مدبر لذاته ، ولا ارادته حادثة فى محل ، وانما يرجع ذلك الى العلم فقط ، والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضا . وأنكر الرؤية ، وقال : اذا قلنا انه يرى المرئيات ، فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتمييزها قبل أن توجد .

والثامنة عشرة الجبائية : أتباع أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، من معتزلة البصرة ، تفرد بمقالات : منها أن الله تعالى يسمى مطيعا للعبد اذا فعل ما أراد العبد منه ، وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن ، وأن كلام الله عرض يوجد فى أمكنة كثيرة ، وفى مكان بعد مكان ، من غير أن يعدم من مكانه الأول ، ثم يحدث فى الثانى . وكان يقف فى فضل على على أبى بكر ، وفضل أبى بكر

على على ، ومع ذلك يقول : ان أبا بكر خير من عمر وعثمان ، ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان .

والتاسعة عشرة البهشمية : أتباع أبى هاشم عبد السلام بن أبى على الجبائى . انفرد ببدع فى مقالاته : منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب . وزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والترك ، وأن القادر المأمور المنهى اذا لم يفعل فعلا ولا ترك ، يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لأنه لم يفعل ما أمر به ، وأن الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه .

وقال : التوبة لا تصح من قبيح ، مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقده قبيحا وان كان حسنا ، وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه ، وان توبة الزانى بعد ضعفه عن الجماع لا تصح . وزعم أن الطهارة غير واجبة ، وانما أمر العبد بالصلاة فى حال كونه متطهرا ، وأن الطهارة تجزىء بالماء المغصوب ، ولا تجزىء الصلاة فى الأرض المغصوبة . وزعم أن الزنج والترك والهنود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . وقال أبو على وابنه أبو هاشم : الايمان هو الطاعات المفروضة .

والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية : أتباع محمد بن نعمان — المعروف بشيطان الطاق — وهو من الروافض . شارك كلا من المعتزلة والروافض فى بدعهم ، وقلما يوجد معتزلى الا وهو رافضى الا قليلا منهم . انفرد بطامة وهى أن الله لا يعلم الشىء الا ما قدره وأراده ، وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ، ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم .

وللمعتزلة أسام : منها الثنوية ... سموا بذلك لقولهم : الخير من الله ، والشر من العبد . ومنهم الكيسانية ، والناكثية ، والأحمدية ، والوهمية ، والبترية ، والواسطية ، والواردية ... سموا بذلك لقولهم : لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ، ومن أدخل النار لا يخرج منها قط . ومنهم الحرقية لقولهم : الكفار لا تحرق الا مرة ، والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار ، والواقفية القائلون بالوقف فى خلق القرآن . ومنهم اللفظية القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة ، والملتزقة القائلون الله بكل مكان ، والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر .

« الفرقة الثانية المشبهة » : وهم يغلون فى اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة ، وهم سبع فرق :

الهشامية : أتباع هشام بن الحكم ، ويقال لهم أيضا الحكمية ، ومن قولهم : الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه . ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال : هو لحم ودم على صورة الانسان ، وهو طويل عريض عميق ، وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، وهو ذو لون وطعم ورائحة ، وهو سبعة أشبار بشبر نفسه . ولم يصح هذا القول عن مقاتل .

والجولقية : أتباع هشام بن سالم الجولقى ، وهو من الرافضة ايضا . ومن شنيع

قوله أن الله تعالى على صورة الانسان ، نصفه الأعلى مجوف ، ونصفه الأسفل مصمت ، وله شعر أسود ، وليس بلحم ودم ، بل هو نور ساطع ، وله خمس حواس كحواس الانسان ، ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر * أسود ، لا الفرج واللحية .

والبيانية : أتباع بيان بن سمعان ، القائل : هو على صورة الانسان ، ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية « كل شيء هالك الا وجهه » .

والمغيرية : أتباع مغيرة بن سعيد العجلى ، وهو أيضا من الروافض . ومن شنائعه قوله أن أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء ، فالألف على صورة قدميه . وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وزعم أن الله كتب بأصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ، ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق ، فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح ، وزعم أنه بكل مكان لا يخلو عنه مكان .

والمنهالية : أصحاب منهال بن ميمون .

والزرارية : أتباع زرارة بن أعين .

واليونسية : أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى ، وكلهم من الروافض . وسيأتى ذكرهم ان شاء الله تعالى .

ومنهم أيضا : السابية ، والشاكية ، والعملية والمستثنية ، والبدعية ، والعشرية ، والأثرية .

ومنهم الكرامية : أتباع محمد بن كرام السجستانى ، وهم طوائف : الهيضمية ، والاسحاقية ، والجندية وغير ذلك . الا أنهم

(*) ص٢٤٨ جـ٢ ، ط. بولاق .

يعدون فرقة واحدة لأن بعضهم لا يكفر بعضا وكلهم مجسمة ... الا أن فيهم من قال : هو قائم بنفسه ، ومنهم من قال : هو أجزاء مؤتلفة ، وله جهات ونهايات .

ومن قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد ، وهو قول « لا اله الا الله » ، وسواء اعتقد أو لا . وزعموا أن الله جسم ، وله حد ونهاية من جهة السفل ، وتجوز عليه ملاقاة الأجسام التى تحته ، وأنه على العرش والعرش مماس له ، وأنه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات ، وأن الله لو علم أحدا من عباده لا يؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا ، وأنه يجوز أن يعزل نبيا من الأنبياء والرسل ، ويجوز عندهم على الأنبياء كل ذنب لا يوجب حدا ولا يسقط عدالة ، وأنه يجب على الله تعالى تواتر الرسل ، وأنه يجوز أن يكون امامان فى وقت واحد ، وأن عليا ومعاوية كانا امامين فى وقت واحد ، الا أن عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها .

وانفرد ابن كرام فى الفقه بأشياء : منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان ، وأجاز الصلاة فى ثوب مستغرق فى النجاسة ، وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية ، وتكفى نية الاسلام ، وأن النية تجب فى النوافل ، وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها . وزعم بعض الكرامية أن لله علمين : أحدهما يعلم به جميع المعلومات ، والآخر يعلم به العلم الأول .

« الفرقة الثالثة القدرية » : الغلاة فى اثبات القدرة للعبد فى اثبات الخلق والايجاد ، وأنه لا يحتاج فى ذلك الى معاونة من جهـة الله تعالى .

« الفرقة الرابعة المجبرة » : الغلاة فى نفى استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ، ونفى الاختيار له ، ونفى الكسب .

وهاتان الفرقتان متضـادتان ، ثم افترقت المجبرة على ثلاث فرق :

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الترمذى ، مولى راسب ، وقتل فى آخر دولة بنى أمية . وهو ينفى الصفات الالهية كلها ، ويقول : لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصـفة يوصف بها خلقه ، وان الانسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة ، وان الجنة والنـار يفنيـان وتنقطع حركات أهلهما ، وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت ، وهو مؤمن مع ذلك .

وقد كفره المعتزلة فى نفى الاسـتطاعة ، وكفره أهل السنة بنفى الصفات وخلق القرآن ونفى الرؤية . وانفرد بجواز الخروج عـلى السلطان الجائر ، وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره .

والبكرية : أتبـاع بكر ، ابن أخت عبـد الواحد ، وهو يوافق النظام فى أن الانسان هو الروح ، ويزعم أن البارى تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ويكلم الناس منها ، وأن صاحب الكبيرة منافق فى الدرك الأسفل من النار ، وحاله أسوأ من حال الكافر . وحرم أكل الثوم والبصل ، وأوجب الوضـوء من قرقرة البطن .

والضرارية : أتباع ضرار بن عمر . وانفرد بأشياء : منها أن الله تعالى يرى فى القيـامة بحاسـة زائدة سادسـة ، وأنكر قراءة ابن مسعود ، وشك فى دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار ، وزعم أن الجسم أعراض مجتمعة كما قالت النجارية .

ومن جملة المجبرة البطيخة أتباع اسماعيل البطيخى ، والصباحية أتباع أبى صـباح بن معمر ، والفكرية ، والخوفية .

« الفرقة الخامسة المرجئة » : الارجاء اما مشـتق من الرجاء ، لأن المرجئـة يرجـون لأصحاب المعاصى الثـواب من الله تعـالى ، فيقولون : لا يضر مع الايمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . أو يكون مشتقا من الارجاء ، وهو التأخير ، لأنهم أخروا حـكم أصحاب الكبائر الى الآخرة .

وحقيقـة المرجئـة أنهم الغلاة فى اثبات الوعد * والرجاء ، ونفى الوعيد والخوف عن المؤمنين . وهم ثلاثة أصناف : صنف جمعوا بين الرجاء والقدر ، وهم غيلان وأبو شمر من بنى حنيفة . وصـنف جمعـوا بين الارجاء والجبر ، مثل جهم بن صفوان . وصنف قال بالارجاء المحض .

وهم أربع فرق :

اليونسية : أتباع يونس بن عمرو ، وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمى الرافضى .

(*) ص٢٤٩ جـ٢ ، ط. بولاق .

زعم أن الايمان معرفة الله والخضوع له ، والمحبة ، والاقرار بأنه واحد ليس كمثله شيء .

والغسانية : أتباع غسان بن أبان الكوفى ، المنكر نبوة عيسى عليه السلام ، وتلمذ لمحمد ابن الحسن الشيبانى ، ومذهبه فى الايمان كمذهب يونس . الا أنه يقول : كلّ خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ، ويونس يقول : كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان .

وزعم غسان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص . وعند أبى حنيفة ، رحمه الله ، الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان ، فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس .

والثوبانية : أتباع ثوبان المرجى ، ثم الخارجى المعتزلى ، وكان يقال له جامع النقائص ، هاجر الخصائص . ومن قوله : الايمان هو المعرفة والاقرار ، والايمان فعل ما يجب فى العقل فعله . فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع ، وفارق الغسانية واليونسية فى ذلك .

والتؤمنية : أتباع أبى معاذ التؤمنى الفيلسوف . زعم أن من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ، ولكن ترك الفريضة فسق . وزعم أن هذه الخصال التى تكون جملتها ايمانا ، فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان ، وأن من قتل نبيا كفر لا لأجل القتل ، بل لاستخفافه به وبغضه له .

ومن فرق المرجئة : المريسية أتباع بشر بن غياث المريسى . كان عراقى المذهب فى الفقه ، تلميذا للقاضى أبى يوسف يعقوب الحضرمى ، وقال بنفى الصفات وخلق القرآن ، فأكفرته الصفاتية بذلك . وزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، ولا استطاعة مع الفعل ، فأكفرته المعتزلة بذلك . وزعم أن الايمان هو التصديق بالقلب ، وهو مذهب ابن الربوبدى .

ولما ناظره الشافعى فى مسألة خلق القرآن ونفى الصفات ، قال له : نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفى الصفات ، ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد . وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات ، وقوله بخلق القرآن .

ومن فرق المرجئة : الصالحية أتباع صالح ابن عمرو بن صالح ، والجحدرية أتباع جحدر بن محمد التميمى ، والزيادية أتباع محمد بن زياد الكوفى ، والشبيبية أتباع محمد بن شبيب ، والناقضية ، والبهشمية .

ومن المرجئة جماعة من الأئمة : كسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، وعمرو بن مرة ، ومحارب بن دثار ، وعمرو بن ذر ، وحماد ابن سليمان ، وأبى مقاتل . وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة فى أنهم لم يكفروا بالكبائر ، ولا حكموا بتخليد مرتكبها فى النار ، ولا سبوا أحدا من الصحابة ، ولا وقعوا فيهم .

وأول من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد — المعروف بابن الحنفية — بن على بن أبى طالب ، وتكلم فيه . وصارت المرجئة بعده أربعة أنواع : الأول مرجئة الخوارج ، الثانى مرجئة القدرية ، الثالث مرجئة الجبرية ، الرابع مرجئة الصالحية .

وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتبه الى الأمصار يدعو الى الارجاء . الا أنه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم ، بل قال : أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الايمان ، لا يزول بزوالها .

وقال ابن قتيبة : أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزنى . وذكر بعضهم أن أول من وضع الارجاء أبا سلت السمان ، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة .

« الفرقة السادسة الحرورية » : الغلاة فى اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين ، والتخليد فى النار مع وجود الايمان . وهم قوم من النواصب الخوارج ، وهم مضادون المرجئة فى النفى والاثبات والوعد والوعيد .

ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ... ومذهب عامة الخوارج أنه كافر وليس بمشرك ، وقال بعضهم هو منافق فى الدرك الأسفل من النار . فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة ، فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا ، والحكم فيه أنه يخلد فى النار ، واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية .

وقيل لهم الحرورية ، لأنهم خرجوا الى حروراء لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعدتهم اثنا عشر ألفا ، ثم سار على رضى الله عنه اليهم وناظرهم ، ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف ، فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثنى عشر ألفا .

« الفرقة السابعة النجارية » : أتباع الحسن ابن محمد بن عبد الله النجار أبى عبد الله . كان حائكا ، وقيل انه كان يعمل الموازين ، وانه كان من أهل قم ... كان من جملة المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظام عدة مناظرات : منها أنه ناظره مرة ، فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام ، وقال له : قم أخزى الله من ينسبك الى شيء من العلم والفهم * . فانصرف محموما ، واعتل حتى مات .

وهم أكثر معتزلة الرى وجهاتها . وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر ، واكتساب العباد ، وفى الوعد والوعيد ، وامامة أبى بكر رضى الله عنه . ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات ، وخلق القرآن ، وفى الرؤية . وهم ثلاث فرق : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة .

« الفرقة الثامنة الجهمية » : أتباع جهم بن صفوان . وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر ، وينفون الصفات والرؤية ، ويقولون بخلق القرآن . وهم فرقة عظيمة وعدادهم فى المعطلة المجبرة .

« الفرقة التاسعة الروافض » : الغلاة فى حب على بن أبى طالب ، وبغض أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية فى آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وسموا رافضة لأن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، امتنع من لعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال : هما وزيرا جدى محمد ، صلى الله عليه وسلم ،

(*) ص٣٥٠ ج٢ ، ط. بولاق .

فرفضوا رأيه . ومنهم من قال : لأنهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم ، حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقد اختلف الناس فى الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذهب الجمهور الى أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقال العباسية والربوبدية أتباع أبى هريرة الربوبدى — وقيل أتباع أبى العباس الربوبدى — هو العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، لأنه العم والوارث ، فهو أحق من ابن العم . وقال العثمانية وبنو أمية : هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وذهب آخرون الى غير ذلك . وقال الرافضة : هو على بن أبى طالب .

ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة ، والمشهور منها عشرون فرقة :

الزيدية والصباحية : أقروا امامة أبى بكر رضى الله عنه ، ورأوا أنه لا نص فى امامة على رضى الله عنه ، واختلفوا فى امامة عثمان رضى الله عنه : فأنكرها بعضهم ، وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لكن قالوا على أفضل من أبى بكر ، وامامة المفضول جائزة .

وقال الغلاة : هو على بالنص ، ثم الحسن وبعده الحسين ، وصار بعد الحسين الأمر شورى . وقال بعضهم : لم يرد النص الا بامامة على فقط ، وقال آخرون : نص على على بالوصف لا بالعين والاسم ، وقال بعضهم : قد جاء النص على امامة اثنى عشر آخرهم المهدى المنتظر .

وفرقهم العشرون هى :

الامامية : وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فزعم أكثرهم أن الامامة فى على بن أبى طالب وأولاده بنص النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفارى وسلمان الفارسى وطائفة يسيرة . وأول من تكلم فى مذهب الامامية على بن اسماعيل بن هيثم التمار ، وكان من أصحاب على بن أبى طالب .

وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة فى على ، ثم فى الحسن ، ثم فى الحسين ، ثم فى على بن الحسين ، ثم فى محمد بن على ، ثم فى جعفر بن محمد ، ثم فى موسى بن جعفر ، ثم فى على بن موسى . وقطعوا الامامة عليه ، فسموا القطعية لذلك ، ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد ابن على بن موسى .

وقالت الناووسية : جعفر بن محمد لم يمت ، وهو حى ينتظر .

وقالت المباركية أتباع مبارك : الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ، ثم محمد بن اسماعيل .

وقالت الشميطية أتباع يحيى بن شميط الأحمسى — كان مع المختار قائدا من قواده ، فأنفذه أميرا على جيش البصرة يقاتل مصعب ابن الزبير فقتل بالمدار — الامامة بعد جعفر فى ابنه محمد وأولاده .

وقالت المعمرية أتباع معمر : الامامة بعد جعفر فى ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده . ويقال لهم الفطحية لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين .

وقالت الواقفية : الامام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر ، وهو حى لم يمت ، وهو الامام المنتظر . وسموا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى .

وقالت الزرارية أتباع زرارة بن أعين : الامام بعد جعفر ابنه عبد الله ، الا أنه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها ، فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه .

وقالت المفضلية أتباع المفضل بن عمرو : الامام بعد جعفر ابنه موسى ، وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى .

وقالت المفوضة من الامامية : ان الله تعالى خلق محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، وفوض اليه خلق العالم وتدبيره . وقال بعضهم : بل فوض ذلك الى على بن أبى طالب .

والفرقة الثانية من فرق الروافض : الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبى طالب ، وأخذ عن محمد ابن الحنفية — وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفى الذى قام لأخذ ثأر الحسين رضى الله عنه — زعموا أن الامام بعد على ابنه محمد ابن الحنفية ، لأنه أعطاه الراية يوم الجمل ، ولأن الحسين أوصى اليه عند خروجه الى الكوفة .

ثم اختلفوا فى الامام بعد ابن الحنفية . فقال بعضهم : رجع الأمر بعده الى أولاد الحسن * والحسين ، وقيل بل انتقل الى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقالت الكربية أتباع أبى كرب بأن ابن الحنفية حى لم يمت ، وهو الامام المنتظر . ومن قول الكيسانية أن البدا جائز على الله ... وهو كفر صريح .

والفرقة الثالثة : الخطابية أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى ثور — وقيل محمد بن أبى يزيد — الأجدع . ومذهبه الغلو فى جعفر بن محمد الصادق ، وهو أيضا من المشبهة ، وأتباعه خمسون فرقة ، وكلهم متفقون على أن الأئمة — مثل على وأولاده — كلهم أنبياء ، وأنه لابد من رسولين لكل أمة : أحدهما ناطق ، والآخر صامت ، فكان محمد ناطقا ، وعلى صامتا ، وأن جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ، ثم انتقلت النبوة الى أبى الخطاب الأجدع ، وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم ، وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة .

وقالت المعمرية منهم : الامام بعد أبى الخطاب رجل اسمه معمر ، وزعموا أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة هى ما يصيبه الانسان من الخير فى الدنيا ، والنار ضد ذلك . وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ، ودانوا بترك الصلاة ، وقالوا بالتناسخ ، وأن الناس لا يموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم .

وقالت البزيغية منهم : ان جعفر بن محمد اله ، وليس هو الذى يراه الناس وانما تشبه على الناس ، وزعموا أن كل مؤمن يوحى

(*) ص٣٥١ جـ٢ ، ط. بولاق .

اليــه ، وأن منهم من هو خير من جبــريل وميكائيل ومحمــد صلى الله عليــه وسلم ، وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا .

وقالت العميرية منهم ، أتباع عمير بن بيان العجلى ، مثل ذلك كله ، وخالفوهم فى أن الناس لا يموتون .

وافترقت الخطابية بعد قتــل أبى الخطاب فرقا : منها فرقة زعمت أن الامام بعــد أبى الخطاب عمير بن بيــان العجلى ، ومقــالتهم كمقــالة البزيغيــة ، الا أن هؤلاء اعترفــوا بموتهم ، ونصبوا خيمة على كناســة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق . فبلغ ذلك يزيد بن عمير ، فصلب عمير بن بيان فى كناسة الكوفة .

ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفى . زعم أن جعفر بن محمد اله ، فطرده ولعنه .

وزعمت الخطابيــة بأجمعهــا أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له « جفر » فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن . وزعموا — لعنهم الله — أن قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » معناه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأن الجبت والطاغوت معاوية بن أبى سفيان وعمرو ابن العاص رضى الله عنهما .

والفرقة الرابعة : الزيدية أتباع زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال : العلم ، والزهد ، والشــجاعة ، وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنها حسنيا أو حسينيا ، ومنهم من زاد صباحة الوجه ، وألا يكون فيه آفة . وهم يوافقون المعتــزلة فى أصــولهم كلها الا فى مســألة الامامة .

وأخذ مذهب زيد بن على عن واصل بن عطاء ، وكان يفضل عليا على أبى بكر وعمر مع القول بامامتهما .

وهم أربع فرق : الجــارودية أتبــاع أبى الجارود ، ويكنى أبا النجم ، زياد بن المنذر العبدى . زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بالوصف لا بالتسمية ، وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة على رضى الله عنه والحسن والحسين وأولادهما .

والجريرية أتباع سليم بن جرير . ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة على ، بل أخطأوا بترك الأفضل وهو على ، وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة ، الا أنهم كفروا عثمان بن عفان بالأحداث التى أحدثها ، وقالوا لم ينص على على امامة أحد ، وصار الأمر من بعــده شورى .

ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الأبتر . وقولهم أن عليا أفضــل وأولى بالامامة ، غير أن أبا بكر كان اماما ، ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا ، بل ترك على الامامة له ، وأما عثمان فيتوقف فيه .

ومنهم اليعقوبية أتبــاع يعقــوب . وهم يقولون بأمامة أبى بكر وعمر ، ويتبرأون ممن تبرأ منهما ، وينــكرون رجعــة الأموات الى الدنيا قبل يوم القيــامة ، ويتبرأون ممن دان بها ... الا أنهم متفقون على تفضيل على على

أبى بكر وعمر ، من غير تفسيقهما ولاتكفيرهما ولا لعنهما ، ولا الطعن على أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

والفرقة الخامسة : السبائية أتباع عبد الله ابن سبأ الذى قال شفاها لعلى بن أبى طالب : أنت الاله . وكان من اليهود ، ويقول فى يوشع بن نون مثل قوله ذلك فى على ، وزعم أن عليا لم يقتل ، وأنه حى لم يمت ، وأنه فى السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه ينزل الى الأرض بعد حين ... قبحه الله .

والفرقة السادسة : الكاملية أتباع أبى كامل . أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على ، وكفر عليا بتركه قتالهم ، وقال بتناسخ الأنوار الإلهية فى الأئمة .

والفرقة السابعة : البيانية أتباع بيان بن سمعان . زعم أن روح الاله حل فى الأنبياء ، ثم فى على ، وبعده فى محمد ابن الحنفية ، ثم فى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد ، ثم حل بعد أبى هاشم فى بيان بن سمعان ... يعنى نفسه * ، لعنه الله .

والفرقة الثامنة : المغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلى ، مولى خالد بن عبد الله ، طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن ، فخرج على خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا به ، فقال خالد : أطعمونى ماء ، وهو على المنبر ، فعير بذلك .

والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش ، وادعى النبوة ، وزعم أن معجزته علمه بالاسم الأعظم ، وأنه يحيى الموتى ، وزعم أن الله لما أراد أن يخلق العالم كتب بأصبعه أعمال عباده ، فغضب من معاصيهم فعرق ، فاجتمع من عرقه بحران : أحدهما مالح والآخر عذب ، فخلق من البحر العذب الشيعة ، وخلق الكفرة من البحر الملح . وزعم أن المهدى يخرج وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب .

والفرقة التاسعة : الهشامية ، وهم صنفان : أحدهما أتباع هشام بن الحكم ، والثانى أتباع هشام الجولقى . وهما يقولان لاتجوز المعصية على الامام ، وتجوز على الأنبياء ، وأن محمدا عصى ربه فى أخذ الفداء من أسرى بدر ... كذبا لعنهما الله . وهما أيضا مع ذلك من المشبهة .

والفرقة العاشرة : الزرارية أتباع زرارة بن أعين ، أحد الغلاة فى الرفض ، ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن فى الأزل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك ... قبحه الله .

والفرقة الحادية عشرة : الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذى الجناحين ابن أبى طالب . وزعم أنه اله ، وأن العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة ، وأن روح الاله دارت فى الأنبياء كما كانت فى على وأولاده ، ثم صارت فيه .

ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم ، وأنكروا القيامة ، وتأولوا قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات » ، وزعموا أن كل ما فى القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم

(*) ص٣٥٢ جـ٢ ، ط. بولاق =

الخنزير ، كناية عن قوم يلزم بغضهم ، مثل أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، وكل ما فى القرآن من الفرائض التى أمر الله بها كناية عمن يلزم موالاتهم ، مثل على والحسن والحسين وأولادهم .

والثانية عشرة : المنصورية أتباع أبى منصور العجلى ، أحد الغلاة المشبهة ، زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأنه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه ، وأن معبوده مسح بيده على رأسه ، وقال له : يابنى بلغ عنى آية الكسف الساقط من السماء فى قوله تعالى « وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ... » الآية . وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل على بن أبى طالب وأولاده ، وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، رضى الله عنهم .

والثالثة عشرة : الغرابية . زعموا — لعنهم الله — أن جبريل أخطأ ، فانه أرسل الى على ابن أبى طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا : « العنوا صاحب الريش » ، يعنون جبريل عليه السلام ، وعليهم اللعنة .

والرابعة عشرة : الذمية (بفتح الذال المعجمة) زعموا — أخزاهم الله — أن على ابن أبى طالب بعثه الله نبيا ، وأنه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره ، فادعى النبوة لنفسه ، وأرضى عليا بأن زوجه ابنته ومولاه . ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع السدوسى — وقيل الأسدى — كان يفضل عليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويزعم أن عليا بعث محمدا . وكان — لعنه الله — يذم النبى صلى الله عليه وسلم ، لزعمه أن محمدا بعث ليدعو الى على ، فدعا الى نفسه .

ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلى جميعا ، ويقدمون محمدا فى الالهية ، ويقال لهم الميمية . ومنهم من قال بالهية خمسة — وهم أصحاب الكساء : محمد ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين — وقالوا : خمستهم شيء واحد ، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر ، وكرهوا أن يقولوا « فاطمة » بالهاء ، فقالوا « فاطم » . قال بعضهم :

توليت بعد الله فى الدين خمسة
نبيا ، وسبطيه ، وشيخا ، وفاطما

والخامسة عشرة : اليونسية أتباع يونس بن عبد الله القمى ، أحد الغلاة المشبهة .

والسادسة عشرة : الرزامية أتباع رزام بن سابق . زعم أن الامامة انتقلت بعد على بن أبى طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ، ثم الى ابنه أبى هاشم ، ثم الى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم الى ابنه محمد بن على ، فأوصى بها محمد الى أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح ، الظالم المتردد فى المذاهب ، الجاهل بحقوق أهل البيت .

والسابعة عشرة : الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق . وقد شارك المعتزلة والرافضة فى جميع مذهبهم ، وانفرد بأعظم الكفر — قاتله الله — وهو أنه زعم أن الله

لا يعلم الشيء حتى يقدره ، وقبل ذلك يستحيل علمه .

والثامنة عشرة : البسلمية وهم من الراوندية زعموا أن الامامة ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صارت فى على وأولاده الحسن والحسين * ومحمد ابن الحنفية ، ثم فى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وانتقلت منه الى على بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ، ثم الى أبى العباس السفاح ، ثم الى أبى سلمة صاحب دولة بنى العباس .

وقام بناحية كش ، فيما وراء النهر ، رجل من أهل مرو أعور — يقال له هاشم — ادعى أن أبا سلمة كان الها انتقل اليه روح الله ، ثم انتقل اليه بعده . فانتشرت دعوته هناك ، واحتجب عن أصحابه ، واتخذ له وجها من ذهب ، فعرف بالمصيغ .

ثم ان أصحابه طلبوا رؤيته . فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا ، وعمل تجاه مرآه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس . فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ، ورجع الباقون وقد فتنوا ، واعتقدوا أنه اله لا تدركه الأبصار ، ونادوا فى حروبهم بالهيته .

والتاسعة عشرة : الجعفرية .

والعشرون : الصباحية ، وهم والزيدية أمثل الشيعة ، فانهم يقولون بامامة أبى بكر ، وأنه لا نص فى امامة على ، مع أنه عندهم أفضل وأبو بكر مفضول .

ومن فرق الروافض : الحلوية ، والشاعية ، والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتناسخية القائلون ان الأرواح تتناسخ ، واللاغنة ، والمخطئة الذين يزعمون أن جبريل أخطأ ، والاسحاقية ، والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام ، والرجعية القائلون سيرجع على ابن أبى طالب وينتقم من أعدائه ، والمتربصية الذين يتربصون خروج المهدى ، والامرية ، والجبية ، والجلالية ، والكريبية أتباع أبى كريب الضرير ، والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزنى .

« الفرقة العاشرة الخوارج » : ويقال لهم النواصب والحرورية — نسبة الى حروراء : موضع خرج فيه أولهم على على رضى الله عنه — وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر وبغض على بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ولا أجهل منهم ، فانهم القاسطون المارقون . خرجوا على على رضى الله عنه ، وانفصلوا عنه بالجملة وتبرأوا منه ، ومنهم من صحبه ، ومنهم من كان فى زمنه . وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم ، وهم عشرون فرقة .

الأولى : يقال لهم الحكمية ، لأنهم خرجوا على على رضى الله عنه فى صفين ، وقالوا : لا حكم الا لله ولا حكم للرجال ، وانحازوا عنه الى حروراء ، ثم الى النهروان . وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله ، فلما رضى بذلك — وكانت قضية الحكمين : أبى موسى الأشعرى وهو عبد الله ابن قيس ، وعمرو بن العاص — غضبوا من ذلك ، ونابذوا عليا ، وقالوا فى شعارهم : لا

(*) ص ٣٥٢ جـ٢ ، ط. بولاق .

حـكم الا لله ولرسـوله . وكان امامهم فى التحكيم عبد الله بن الكواء .

والثانية : الأزارقة أتباع أبى راشد نافع ابن الأزرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، الخارج بالبصرة فى أيام عبد الله بن الزبير . وهم على التبـرى من عثمـان وعلى والطعن عليهما ، وأن دار مخالفيهم دار كفر ، وأن من أقام بدار الـكفر فهـو كافر ، وأن أطفـال مخالفيهم فى النار ويحل قتلهم . وأنـكروا رجم الزانى ، وقالوا من قذف محصنة حد ، ومن قذف محصنا لا يحد ، ويقطع السارق فى القليل والكثير .

والثالثة : النجـدات — ولم يقـل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد — فانهم أتباع نجد بن عويمر . وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة ، وكان رأسـا ذا مقالة مفردة ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وبعث عطية بن الأسود الى سجستان ، فأظهر مذهبه بمرو ، فعرفت أتباعه بالعطوية .

ومذهبهم أن الدين أمران : أحدهما معرفة الله تعالى ومعـرفة رسـوله ، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم . والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعـالى جملة ، وما سـوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان النـاس يعذرون بجهلها ، وأنه لا يأثم المجتهـد اذا أخطأ ، وأن من خالف أن يعذب المجتهد فقـد كفر . واسـتحلوا دماء أهـل الذمة فى دار التقية ، وقالوا من نظر نظرة محرمة ، أو كذب كذبة ، أو أصر على صغيرة ولم يتب منها ، فهو كافر . ومن زنى أو سرق أو شرب خمرا من غير أن يصر على ذلك ، فهو مؤمن غير كافر .

والرابعة : الصفرية أتباع زياد بن الأصفر ، ويقال أتبـاع النعمان بن صـفر ، وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار ، وهو أحد بنى مقاعس ، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ، وقيل عبد الله الصفار من بنى صويمر بن مقـاعس ، وقيل سموا بذلك لصـفرة علتهم ، وزعم بعضـهم أن الصفرية بكسر الصاد .

وقد وافق الصـفرية الأزارقة فى جميـع بدعهم ، الا فى قتل الأطفال . ويقال للصفرية أيضار الزيادية ، ويقال لهم أيضـا النكار من أجل أنهم ينقصون نصف علىّ وثلث عثمان وسدس عائشة ، رضى الله عنهم .

والخامسة : العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد .

والسادسة : الميمونية أتبـاع ميمـون بن عمران . وهم طائفـة من العجاردة وافقـوا الأزارقة الا فى شيئين : أحدهما قولهم تجب البراءة من الأطفـال حتى يبلغوا ويصـفوا الاسلام ، والثانى استحلال أموال المخـالفين لهم . فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل المالك ، فاذا قتل صار ماله فيئا ... الا أنهم * ازدادوا كفرا على كفرهم ، وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الأخوات فقط .

(*) ص٣٥٤ جـ٢ ، ط. بولاق .

والسابعة : الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونيــة فى جميع بدعهم ، الا فى الاستطاعة والمشيئة ، فان الميمونية مالت الى القدرية .

والثامنة : الحمزية أتبــاع حمزة بن أدرك الشامى ، الخارج بخراسان فى خلافة هارون ابن محمد الرشيد ، وكثر عيثــه وفساده ، ثم فض جموع عيسى بن على عامل خراسان ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، فانهزم منه عيسى الى كابل ، وآل أمر حمزة الى أن غرق فى كرمان بواد هناك ، فعرفت أصحابه بالحمزية .

وكان يقــول بالقــدر ، فكفرته الأزارقة بذلك . وقال أطفــال المشركين فى النار ، فكفرته القدرية بذلك . وكان لا يستحل غنائم أعدائه ، بل يأمر باحراق جميــع ما يغنمــه منهم .

والتاسعــة : الحــازمية ، وهم فــرقة من العجاردة قالوا فى القدر والمشيئة كقول أهل السنة ، وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا : لم يزل الله تعــالى محبا لأوليــائه ومبغضا لأعدائه .

والعاشرة : المعلومية ، مع المجهولية تباينــا فى مسألتين : احداهما قالت المعلومية : من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر ، وقالت المجهولية : لا يكون كافرا . والثانيــة وافقت المعلومية أهل السنة فى مسألة القدر والمشيئة ، والمجهوليــة وافقت القــدرية فى ذلك .

والحادية عشرة : الصلتية أتباع عثمان بن أبى الصلت ، وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم : من أسلم توليناــاه لــكن تتبرأ من أطفاله ، لأنه ليس للأطفال اسلام حتى يبلغوا .

والثانية عشرة والثالثــة عشرة : الأحسنية والمعبدية ، وهما فرقتان من الثعالبــة أتباع ثعلبة بن عامر . وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم ابن عجرد ، ثم اختلفا فى الأطفال : فقال عبد الكريم : تتبرأ منهم قبل البلوغ ، وقال ثعلبة : لا تتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار .

فلم تزل الثعالبــة على هذا الى أن خرج رجل ، عرف بالأخنس ، فقال : تتوقف عن جميع من فى دار التقيــة ، الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ، ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ، ولا يجوز أن نبدأ أحدا بقتال . فتبرأت منه الثعالبة ، وسموه بالأخنس ، لأنه خنس منهم ، أى رجع عنهم .

ثم خرجت فرقة من الثعالبة ، قيــلَ لهــا المعبدية أتباع معبد ، فخالفت الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد والبهائم ، وكفرت كل فرقة منهما الأخرى .

والرابعة عشرة : الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة ، الخارج فى أيام أبى مسلم الخراسانى القائم بدعوة الخلفاء العباسيين ، وكان معه ، فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لأبى مسلم . وهو أول من أظهر القول بالتشبيه ... تعالى الله عن ذلك .

والخامسة عشرة : الشبيبية أتباع شبيب بن يزيد بن أبى نعيم ، الخارج فى خلافة عبــد الملك بن مروان ، وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى . وهم على ما كانت عليه الحكمية الأولى ، الا أنهم انفردوا

عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها . واستخلف شبيب هـذا أمه غزالة ، فدخلت الكوفة ، وقامت خطيبـة ، وصلت الصبح بالمسجد الجامع ، فقرأت في الركعـة الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بآل عمران ... وأخبار شبيب طويلة .

والسادسة عشرة : الرشيدية أتباع رشيد ، ويقال لهم أيضا العشرية من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الأنهار . فقال لهم زياد بن عبد الرحمن : يجب فيه العشر ، فتبرأت كل فرقة من الأخرى وكفرتها بذلك .

والسابعة عشرة : المكرمية أتباع أبي المكرم ، ومن قوله : تارك الصلاة كافر ، وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله . وكذا قوله في سائر الكبائر .

والثامنة عشرة : الحفصية أتباع حفص بن المقدام ، أحد أصحاب عبد الله بن أباض . تفرد بقوله : من عرف الله تعالى ، وكفر بما سواه من رسول وغيره ، فهو كافر وليس بمشرك . فأنكر ذلك الاباضية وقالوا : بل هو مشرك .

والتاسعة عشرة : الأباضية أتباع عبد الله بن أباض من بني مقاعس ، واسمه الحـارث بن عمرو — ويقال بل ينسبون الى « أباض » (بضم الهمزة) وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر — وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان وكان من غلاة الحكمة .

والفرقة العشرون : اليزيدية أتباع يزيد بن أبي أنيسة ، وكان أباضيا ، فانفرد ببـدعة قبيحة . وهي أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن فرق الخوارج أيضا : الحارثيـة ، والأصومية أتباع يحيى بن أصوم ، والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد من بني سعيد بن ضبعـة : كان في زمن الحجاج ، وقتـل بالمدينـة وصلب ، واليعقوبية أتباع يعقوب بن علي الكوفي .

ومن فرقهم : الفضلية أتباع فضل بن عبد الله ، والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ ، والضحاكية أتباع الضحاك .

والخـوارج يقـال لهم الشراة : واحدهم شاري ، مشتق من شرى الرجل اذا ألح ، أو معنـاه يسـتشري * بالشر ، أو من قـول الخوارج : شرينا أنفسـنا لدين الله ، فنحن لذلك شراة . وقيل انه من قولهم : شاريته أي لاححته وماريته ، وقيل شرى الرجل غضبا اذا استطار غضبا ، وقيـل لهم هذا لشـدة غضبهم على المسلمين .

ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منـذ ابتداء الملة الاسلامية الى ان انتشر مذهب الأشعرية

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيـه محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، رسولا الى الناس جميعا ، وصـف لهم ربهم سـبحانه وتعالى ، بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه صلى الله عليـه

(*) ص٢٥٥ جـ٢ ، طـ بولاق .

وسلم الروح الأمين ، وبما أوحى اليــه ربه تعالى .

فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم — قرويهم وبدويهم — عن معنى شيء من ذلك ، كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهى ، وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار . اذ لو ســأله انسان منهم عن شيء من الصفات الالهيــة ، لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى أحكام الحلال والحرام ، وفى الترغيب والترهيب وأحــوال القيــامة والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها .

ومن أمعــن النظــر فى دواوين الحــديث النبوى ، ووقف على الآثار السلفية ، علم أنه لم يرد قط ، من طريق صحيح ولا سقيم ، عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم — على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم — أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات ... نعم ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل .

وانما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والســمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعــام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقا واحدا .

وهكذا أثبتوا ، رضى الله عنهم ، ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك ، مع نفى مماثلة المخلوقين . فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشــبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت .

ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى ، وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة . فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا ... الى أن حدث فى زمنهم القول بالقدر ، وأن الأمر أنفــة : أى أن الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه .

وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد ابن خالد الجهنى ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى ، فتكلم فى القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله . وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس سنسويه ، ويعرف بالأسوارى . فلما عظمت الفتنة به ، عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين . ولما بلغ عبــد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية .

واقتدى بمعبد فى بدعتــه هذه جماعة . وأخذ السلف رحمهم الله فى ذم القــدرية ، وحذروا منهم كمــا هــو معروف فى كتب الحديث . وكان عطاء بن يسار قاضــيا يرى القدر ، وكان يأتى هو ومعبــد الجهنى الى

الحسن البصرى ، فيقـولان له : ان هؤلاء يسفكون الدماء ، ويقولون : انمـا تجرى أعمالنا على قدر الله . فقال : كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله .

وحدث أيضا فى زمن الصـحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج ، وصرحوا بالتـكفير بالذنب ، والخـروج عـلى الامام وقتـاله . فناظرهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فلم يرجعوا الى الحق ، وقاتلهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقتل منهم جماعة كما هو معروف فى كتب الأخبار .

ودخل فى دعوة الخوارج خلق كثير ، ورمى جماعة من أئمة الاسلام بأنهم يذهبـون الى مذهبهم ، وعـد منهم غير واحـد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله .

وحدث أيضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، والغلو فيه . فلما بلغه ذلك أنكره ، وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه ، وأنشد :

لما رأيت الأمر أمرا منـكرا
أججت نارى ودعوت قنبـرا

وقام فى زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب ابن سبأ — المعروف بابن السوداء السبأى — وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعـده ، فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخليفته على أمته من بعده بالنص . وأحدث القول برجعـة على بعد موته الى الدنيا ، وبرجعة رسـول الله صلى الله عليه وسلم * أيضا .

(*) ص ٢٥٦ جـ٢ ، ط بولاق .

وزعم أن عليا لم يقتل ، وأنه حى ، وأن فيه الجزء الالهى ، وأنه هو الذى يجىء فى السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه لابد أن ينزل الى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا .

ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصـناف الغلاة من الرافضـة ، وصـاروا يقـولون بالوقف — يعنـون أن الامامة موقـوفة على أناس معينين — كقول الامامية بأنها فى الأئمـة الاثنى عشر ، وقول الاسماعيلية بأنها فى ولد اسماعيل بن جعفر الصادق . وعنه أيضا أخذوا القول بغيبة الامام ، والقول برجعته بعـد الموت الى الدنيا ، كما تعتقـده الامامية الى اليـوم فى صـاحب السرداب ، وهو القول بتناسخ الأرواح . وعنه أخذوا أيضـا القول بأن الجزء الالهى يحل فى الأئمة بعد على بن أبى طالب ، وأنهم بذلك اسـتحقوا الامامة بطريق الوجوب ، كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة ، وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر .

وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنـة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى قتل — كما ذكر فى ترجمة ابن سبأ من كتاب « التاريخ الكبير المقفى » — وكان له عدة أتباع فى عامة الأمصار ، وأصحاب كثيرون فى معظم الأقطار . فكثرت لذلك الشيعة ، وصاروا ضدا للخـوارج ، وما زال أمرهم يقوى وعددهم يكثر .

ثم حدث بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق ، فعظمت الفتنة به . فانه نفى أن يكون لله تعالى صفة ،

وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير . وكان قبيل المائة من سنى الهجرة ، فكثر أتباعه على أقواله التى تؤول الى التعطيل .

فأكبر أهل الاسلام بدعته ، وتمالئوا على انكارها وتضليل أهلها ، وحذروا من الجهمية وعادوهم فى الله ، وذموا من جلس اليهم ، وكتبوا فى الرد عليهم ما هو معروف عند أهله .

وفى أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال ، منذ زمن الحسن بن الحسين البصرى رحمه الله بعد المائتين من سنى الهجرة ، وصنفوا فيه مسائلَ فى العدل والتوحيد ، واثبات أفعال العباد ، وأن الله تعالى لا يخلق الشر ، وجهروا بأن الله لا يرى فى الآخرة ، وأنكروا عذاب القبر على البدن ، وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث ... الى غير ذلك من مسائلهم .

فتبعهم خلائق فى بدعهم ، وأكثروا من التصنيف فى نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية . فنهى أئمة الاسلام عن مذهبهم ، وذموا علم الكلام ، وهجروا من ينتحله . ولم يزل أمر المعتزلة يقوى ، وأتباعهم تكثر ، ومذهبهم ينتشر فى الأرض .

ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال . فظهر محمد بن كرام بن عراق بن حزابة أبو عبد الله السجستانى ، زعيم الطائفة الكرامية ، بعد المائتين من سنى الهجرة ، وأثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه ، وحج وقدم الشام ، ومات بزغرة فى صفر سنة ست وخمسين ومائتين ، فدفن بالمقدس .

وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف ، سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لا يحصون لكثرتهم ، وكان اماما لطائفتى الشافعية والحنفية . وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ، ومناكرات ، وفتن كثيرة متعددة أزماتها .

هذا وأمر الشيعة يفشو فى الناس . حتى حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الأشعث ، المعروف بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه . وكان ابتداء أمر قرمط هذا فى سنة أربع وستين ومائتين ، وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق .

وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال والمدثر والمطوق . وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابى من أهل جنابة ، وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده ، حتى أوقعوا بعساكر بغداد ، وأخافوا خلفاء بنى العباس ، وفرضوا الأموال التى تحمل اليهم فى كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض .

فدخل جماعات من الناس فى دعوتهم ، ومالوا الى قولهم الذى سموه علم الباطن . وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم ، وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا ، انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم ، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا .

هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع خلفاء بنى العباس ببغداد ، لما شغف بالعلوم القديمة ، بعث الى بلاد الروم من عــرّب له كتب الفلاسفة ، وأتاه بها فى أعوام بضـع عشرة سنة ومائتين من ســنى الهجــرة ، فانتشرت مــذاهب الفلاسفــة فى الناس ، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصــار ، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهميــة وغيرهم عليها ، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها . فانجر على الاسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنــة فى الدين ، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع ، وزادتهم كفرا الى كفرهم .

فلما قامت دولة بنى بويه ببغداد فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، واستمروا الى * سنة ســبع وثلاثين وأربعمــائة ، وأظهروا مذهب التشيع ... قويت بهم الشيعة ، وكتبوا على أبواب المســاجد فى سنة احدى وخمســين وثلثمائة « لعن الله معاوية بن أبى سفيان ، ولعن من أغضب فاطمة ، ومن منع الحســن أن يدفن عنــد جــده ، ومن نفى أبا ذر الغفارى ، ومن أخرج العباس من الشورى» . فلما كان الليل حكه بعض الناس ، فأشــار الوزير المهلبى أن يكتب باذن معز الدولة « لعن الله الظالمين لأهل البيت » ولا يذكر أحد فى اللعن غير معاوية ، ففعل ذلك .

وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية ، وجهر الشيعة فى الأذان بحى على خير العمل فى الكرخ . وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء .

وقوى مع ذلك أمر الخلفــاء الفــاطميين بأفريقيــة وبلاد المغــرب ، وجهروا بمــذهب الاسماعيلية ، وبثــوا دعاتهم بأرض مصر ، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ، ثم ملكوها سنة ثمان وخمســين وثلثمــائة ، وبعثــوا بعساكرهم الى الشام .

فانتشرت مذاهب الرافضــة فى عامة بلاد المغرب ومصر والشــام وديار بكر والــكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وما وراء النــهر ، مع بلاد الحجــاز واليمن والبحرين ، وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرته .

واشــتهرت مذاهب الفــرق من القــدرية والجهميــة والمعتزلة والكراميــة والخــوارج والروافض والقرامطــة والباطنيــة حتى ملأت الأرض . وما منهم الا من نظر فى الفلسفة ، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره ، فلم تبق مصر من الأمصار ، ولا قطر من الأقطار ، الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا .

وكان أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى قد أخذ عن أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، ولازمه عدة أعوام . ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال ، وسلك طريق أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب ، ونسج على قوانينه فى الصفات والقدر ، وقال بالفــاعل المختار ، وترك القــول بالتحســين والتقبيح العقليين ، وما قيــل فى مســائل الصــلاح

(*) ص٣٥٧ جـ٢ ، ط. بولاق .

والأصلح ، وأثبت أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع ، وأن العلوم وان حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع ، وأن الله تعالى لا يجب عليه شيء ، وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية ... الى غير ذلك من مسائله التى هى موضوع أصول الدين .

وحقيقة مذهب الأشعرى ، رحمه الله ، أنه سلك طريقا بين النفى الذى هو مذهب الاعتزال ، وبين الاثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم ، وناظر على قوله هذا ، واحتج لمذهبه .

فمال اليه جماعة ، وعولوا على رأيه : منهم القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المالكى ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ابن مهران الأسفراينى ، والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى ، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أحمد الشهرستانى ، والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى ، وغيرهم ممن يطول ذكره . ونصروامذهبه ، وناظروا عليه ، وجادلوا فيه ، واستدلوا له فى مصنفات لا تكاد تحصر . فانتشر مذهب أبى الحسن الأشعرى فى العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة ، وانتقل منه الى الشام .

فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر ، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى على هذا المذهب ، قد نشآ عليه منذ كانا فى خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، وحفظ صلاح الدين فى صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى ، وصار يحفظها صغار أولاده ، فلذلك عقدوا الخناصر ، وشدوا البنان على مذهب الأشعرى ، وحملوا فى أيام دولتهم كافة الناس على التزامه .

فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بنى أيوب ، ثم فى أيام مواليهم الملوك من الأتراك . واتفق مع ذلك توجه أبى عبد الله محمد بن تومرت ، أحد رحالات المغرب ، الى العراق ، وأخذ عن أبى حامد الغزالى مذهب الأشعرى . فلما عاد الى بلاد المغرب ، وقام فى المصامدة يفقههم ويعلمهم ، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ، ثم مات .

فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن على القيسى ، وتلقب بأمير المؤمنين ، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين ، وتسموا بالموحدين ... فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ، اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم ، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى ، كما هو معروف فى كتب التاريخ .

فكان هذا هو السبب فى اشتهار مذهب الأشعرى ، وانتشاره فى أمصار الاسلام بحيث نسى غيره من المذاهب وجهل . حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ، الا أن * يكون مذهب

(*) ص٣٥٨ جـ٢ ، ط. بولاق .

الحنابلة ، أتباع الامام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه ، فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات . الى أن كان بعد السبعمائة من سنى الهجرة ، اشتهر بدمشق وأعمالها تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى ، فتصدى للانتصار لمذهب السلف ، وبالغ فى الرد على مذهب الأشاعرة ، وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية .

فافترق الناس فيه فريقان : فريق يقتدى به ، ويعول على أقواله ، ويعمل برأيه ، ويرى أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية . وفريق يبدعه ويضلله ، ويزرى عليه باثباته الصفات ، وينتقد عليه مسائل : منها ما له فيه سلف ، ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف . وكانت له ولهم خطوب كثيرة ، وحسابه وحسابهم على الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر .

هذا وبين الأشاعرة والماتريدية أتباع أبى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى ، وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدو الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى ومحمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهم ، من الخلاف فى العقائد ما هو مشهور فى موضعه . وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة ، كان بسببها فى أول الأمر تباين وتنافر ، وقدح كل منهم فى عقيدة الآخر ... الا أن الأمر آل آخرا الى الاغضاء ، ولله الحمد .

فهذا — أعزك الله — بيان ما كانت عليه عقائد الأمة — من ابتداء الأمر الى وقتنا هذا — قد فصلت فيه ما أجمله أهل الأخبار ، وأجملت ما فصلوا . فدونك ، طالب العلم ، تناول ما قد بذلت فيه جهدى ، وأطلت بسببه سهرى وكدى فى تصفح دواوين الاسلام وكتب الأخبار . فقد وصل اليك صفوا ، ونلته عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

« أبو الحسن » على بن اسماعيل بن أبى بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى — واسمه عبد الله بن قيس — الأشعرى البصرى : ولد سنة ست وستين ومائتين ، وقيل سنة سبعين ، وتوفى ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة .

سمع زكريا الساجى ، وأبا خليفة الجمحى ، وسهل بن نوح ، ومحمد بن يعقوب المقرى ، وعبد الرحمن بن خلف الضبى المصرى . وروى عنهم فى تفسيره كثيرا ، وتلمذ لزوج أمه أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، واقتدى برأيه فى الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ، ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة .

وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ، ونادى بأعلى صوته : من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى . أنا فلان

ابن فلان ، كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها . وأنا تائب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة ، مبين لفضائحهم ومعايبهم .

وأخذ من حينئذ فى الرد عليهم ، وسلك بعض طريق أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، وبنى على قواعده ، وصنف خمسة وخمسين تصنيفا : منها كتاب « اللمع » ، وكتاب « الموجز » ، وكتاب « ايضاح البرهان » ، وكتاب « التبيين على أصول الدين » ، وكتاب « الشرح والتفصيل فى الرد على أهل الافك والتضليل » ، وكتاب « الابانة » ، وكتاب « تفسير القرآن » يقال انه فى سبعين مجلدا . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبى بردة على عقبه ، وكانت نفقته فى السنة سبعة عشر درهما ، وكانت فيه دعابة ومزح كثير .

وقال مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم : كان حنفى المذهب ، معتزلى الكلام ، لأنه كان ربيب أبى على الجبائى ، وهو الذى رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعات فى حلقة أبى اسحاق المروزى الفقيه فى جامع المنصور .

وعن أبى بكر بن الصيرفى : كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعرى ، فحجزهم فى أقماع السماسم .

وجملة عقيدته : أن الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حى بحياة ، مريد بارادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وأن صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال هى هو ولا هى غيره ، ولا لا هى هو ولا غيره ، وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده ، وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد : هو أمر ونهى ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد .

وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام ، والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلى . فالمدلول — وهو القرآن المقروء — قديم أزلى ، والدلالة — وهى العبارات ، وهى القراءة — مخلوقة محدثة .

قال : وفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو . كما فرق بين الذكر والمذكور ... قال : والكلام معنى قائم بالنفس ، والعبارة دالة على ما فى النفس ، وانما تسمى العبارة كلاما مجازا .

قال : وأراد الله تعالى جميع الكائنات : خيرها وشرها ونفعها وضرها . ومال * فى كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق ، لقوله : ان الاستطاعة مع الفعل ، وهو مكلف بالفعل قبله ، وهو غير مستطيع قبله ، على مذهبه ... قال : وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى ، مكتسبة للعبد ، والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد .

قال : والخالق هو الله تعالى حقيقة ، لا يشاركه فى الخلق غيره ، فأخص وصفه هو

(*) ص٣٥٩ جـ٢ ، ط. بولاق .

القدرة والاختراع ، وهذا تفسير اسمه البارىء ...

قال : وكل موجود يصح أن يرى ، والله تعالى موجود ، فيصح أن يرى ، وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه في الدار الأخرى في الكتاب والسنة ، ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع ، فان ذلك كله محال . وماهية الرؤية له فيها رأيان : أحدهما أنه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم ، والثاني أنه ادراك وراء العلم . وأثبت السمع والبصر صفتين أزليتين ، هما ادراكان وراء العلم . وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية ، ورد السمع بها فيجب الاعتراف به .

وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد ، والسمع والعقل من كل وجه . وقال : الايمان هو التصديق بالقلب ، والقول باللسان . والعمل بالأركان فروع الايمان : فمن صدق بالقلب ، أي أقر بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به ، فهو مؤمن . وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة ، حكمه الى الله : اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما أن يعذبه بعدله ، ثم يدخله الجنة برحمته ، ولا يخلد في النار مؤمن .

قال : ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل ، لأنه هو الموجب لا يجب عليه شيء أصلا ، بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين ، واجابة دعوة المضطرين . وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جورا ، ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفا ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا ينسب اليه جور ، لأنه الملك المطلق .

والواجبات كلها سمعية ، فلا يوجب العقل شيئا ألبتة ، ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا . فمعرفة الله تعالى ، وشكر المنعم ، واثابة الطائع ، وعقاب العاصي ... كل ذلك بحسب السمع دون العقل . ولا يجب على الله شيء : لا صلاح ولا أصلح ولا لطف ، بل الثواب والصلاح واللطف والنعم ، كلها تفضل من الله تعالى . ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضر ، فلاينتفع بشكر شاكر ، ولايتضرر بكفر كافر ، بل يتعالى ويتقدس عن ذلك .

وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل . فاذا بعث الله تعالى الرسول ، وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة ، وتحدى ودعا الناس ، وجب الاصغاء اليه ، والاستماع منه ، والامتثال لأوامره ، والانتهاء عن نواهيه . وكرامات الأولياء حق ، والايمان بما جاء في القرآن والسنة من الاخبار عن الأمور الغائبة عنا — مثل اللوح والقلم ، والعرش والكرسي ، والجنة والنار — حق وصدق .

وكذلك الاخبار عن الأمور التي ستقع في الآخرة : مثل سؤال القبر ، والثواب والعقاب فيه ، والحشر والمعاد ، والميزان والصراط ، وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير ... كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به . والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين ، والأئمة مترتبون في الفضل ترتبهم في الامامة .

قال : ولا أقول في عائشة وطلحة والزبير ، رضى الله عنهم ، الا أنهم رجعوا عن الخطأ . وأقول : ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ، وأقول في معاوية وعمرو بن العاص : انهما بغيا على الامام الحق على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فقاتلهم مقاتلة أهل البغى . وأقول : ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين ، وان عليا رضى الله عنه كان على الحق في جميع أحواله ، والحق معه حيث دار .

فهذه جملة من أصول عقيدته التى عليها الآن جماهير أهل الأمصار الاسلامية ، والتى من جهر بخلافها أريق دمه .

والأشاعرة يسمون « الصفاتية » لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة . ثم افترقوا في الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة — كالاستواء ، والنزول ، والاصبع واليد ، والقدم ، والصورة ، والجنب ، والمجىء — على فرقتين : فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ . وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ، ولا صاروا الى التشبيه ، ويقال لهؤلاء الأشعرية الأسرية .

فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال : أحدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة ، وثانيها السكوت عنها مطلقا ، وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ، ورابعها حملها على المجاز ، وخامسها حملها على الاشتراك . ولكل فريق أدلة وحجاج تضمنتها كتب أصول الدين « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » ، « والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

« فصل » : اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ... قال ابن عباس وغيره : يعرفون . فخلق تعالى الخلق ، وتعرف اليهم بألسنة الشرائع المنزلة ، فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ما عرّفهم فيما تعرّف به اليهم .

وقد كان الناس ، قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل عليهم السلام ، علمهم * بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث ، وعن التركيب ، وعن الافتقار ، ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق . وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ، ولا يتعداه عقل أصلا .

فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكمل دينه ، كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين : احداهما المعرفة التى تقتضيها الأدلة العقلية ، والأخرى المعرفة التى جاءت بها الاخبارات الالهية ، وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ، ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذى أراده الله تعالى ، من غير تأويل بفكره ، ولا تحكم فيه برأيه .

وذلك أن الشرائع انما أنزلها الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الأشياء على ما هى عليه في علم الله . وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من اطلاق ما هنالك ؟ فان وهبها علما بمراده من الأوضاع الشرعية ، ومنحها الاطلاع على حكمه في ذلك ... كان من فضله تعالى .

(*) ص٣٦٠ ، ج٢ ، ط. بولاق .

فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره ، فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، من الكتاب والسنة . والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها ، فانها مقيدة بأوطارها ، فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها ... الا اذا خلت عن انهوى ، فانها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ، ويهديها الى الحق . فتنزه الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية .

وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الأحاديث الواردة فى الصفات ونقلها وتبليغها ، من غير خلاف بينهم في ذلك . ثم أجمع أهل الحق منهم على أن هذه الأحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق ، لقول الله تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » ، ولقول الله تعالى : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص . وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنها ، ورغب أمته فى تلاوتها ... حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من أجل أنها شاهدة بتنزيه الله تعالى ، وعدم الشبه والمثل له سبحانه . وسميت سورة الاخلاص ، لاشتمالها على اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيهه بالخلق . وأما الكاف التى فى قوله تعالى « ليس كمثله شيء » فانها زائدة . وقد تقرر أن الكاف والمثل فى كلام العرب أتيا للتشبيه ، فجمعهما الله تعالى ، ثم نفى بهما عنه ذلك .

فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هذه الأحاديث ونقلها ، مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه ، لم يبق فى تعظيم الله تعالى بذكرها الا نفى التعطيل ... لكون أعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه أسماء نفوا فيها صفاته العلا . فقال قوم من الكفار : هو طبيعة ، وقال آخرون منهم : هو علة ، الى غير ذلك من الحادهم فى أسمائه سبحانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العلا ، ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين . حتى انتهت الينا ، وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها ، مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ... ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد — بما نطق به رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، من هذه الأحاديث ، وتناولها عنه الصحابة رضى الله عنهم وبلغوها لأمته — أن يغص بها فى حلوق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتا فى قلوب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلل . فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها فى كتابه ، ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بما صح عنه وثبت .

فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله «ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » ، وأنه أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له

كفوا أحد ... كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين الاثبات ، وشجا فى حلوق المعطلة . وقد قال الشافعى رحمه الله : الاثبات أمكن ... نقله الخطابى . ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث .

والذى يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الأمثال ، وأنه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى ، كقوله سبحانه « يد الله فوق أيديهم » ، فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم اياه الى البخل ، فقال تعالى : « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ، فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود .

وأيضا فان تأويل هذه الأحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل ، نحو قولهم فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » : الاستواء الاستيلاء ، كقولك « استوى الأمير على البلد » . وأنشدوا : « قد استوى بشر على العراق » ، فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر .

وأهل الاثبات نزهوا جلال الله عن أن يشبهوه بالأجسام حقيقة ولا مجازا ، وعلموا — مع ذلك — أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه ، وتحرجوا أن يقولوا مشتركة ، لأن الله * تعالى لا شريك له . ولذلك لم يتأول السلف شيئا من أحاديث الصفات ، مع علمنا قطعا أنها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين .

وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والأنثى فى قوله سبحانه « خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه » ، علم سبحانه ما يخطر بقلوب الخلق فقال عز من قائل : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » .

واعلم أن السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام : أن الفرس كانت من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر فى أنفسها ... بحيث انهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم . فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب — وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا — تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله تعالى الحق .

وكان من قائميهم شنفاد وأشنيس والمقفع وبابك وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار — الملقب خداشا — وأبو مسلم السروح ، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام ، واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشاع ظلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر ، يدعى المهدى ، عنده حقيقة الدين ، اذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار ، اذ نسبوا أصحاب

(*) ص٣٦١ جـ٢ ، طـ بولاق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر . وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به . وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول ، وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هى سبع عشرة صلاة ، فى كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندى قبل أن يصير خارجيا صفريا .

وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميرى اليهودى الاسلام ليكيد أهله ، فكان هو أصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضى الله عنه . وأحرق على رضى الله عنه منهم طوائف أعلنوا بالهيته . ومن هذه الأصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة .

والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجوهر لا سر تحته ، وهو كله لازم كل أحد لا مسامحة فيه . ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ، ولا أطلع أخص الناس به ، من زوجة أو ولد عم ، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم . ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ، ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه . ولو كتم شيئا لما بلغ كما أمر ، ومن قال هذا فهو كافر باجماع الأمة .

وأصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف ، والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول . حتى بالغ القدرى فى القدر فجعل العبد خالقا لأفعاله ، وبالغ الجبرى فى مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار ، وبالغ المعطل فى التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمال ، وبالغ المشبه فى مقابلته فجعله كواحد من البشر ، وبالغ المرجىء فى سلب العقاب ، وبالغ المعتزلى فى التخليد فى العذاب ، وبالغ الناصبى فى دفع على رضى الله عنه عن الامامة ، وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها ، وبالغ السنى فى تقديم أبى بكر رضى الله عنه ، وبالغ الرافضى فى تأخيره حتى كفره .

وميدان الظن واسع ، وحكم الوهم غالب . فتعارضت الظنون ، وكثرت الأوهام ، وبلغ كل فريق فى الشر والعناد والبغى والفساد الى أقصى غاية وأبعد نهاية ، وتباغضوا وتلاعنوا ، واستحلوا الأموال ، واستباحوا الدماء ، وانتصروا بالدول ، واستعانوا بالملوك . فلو كان أحدهم اذا بالغ فى أمر ، نازع الآخر فى القرب منه — فان الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ، ولا ينتهى فى المنازعة الى الطرف الآخر من طرفى التقابل — لكنهم أبوا الا ما قدمنا ذكره من التدابر والتقاطع . « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » .

ذكر المدارس

قال ابن سيده : درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ، ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه ، وقد قرىء بهما « وليقولوا درست » ودارست ، ذاكرتهم ، وحكى درست أى قرئت ، وقرىء درست ودرست ، أى هذه أخبار قد عفت وانمحت ، ودرّست أشد مبالغة ، والدراس المدارسة .

وقال ابن جنى : ودرسته اياه وأدرسته .

ومن الشاذ قراءة ابن حيوة « وبما كنتم تدرسون » . والمدرس : الموضع الذى يدرس فيه .

وقد ذكر الواقدى أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضى الله عنهما — وقيل قدم بعد بدر بيسير — فنزل دار القراء .

ولما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر ، بناء قصره * فى الشماسية ببغداد ، استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد . فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريده ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ، يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ، ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه .

والمدارس مما حدث فى الاسلام ، ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين ، وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة . وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضا المدرسة السعيدية ، وبنى بها أيضا مدرسة رابعة .

وأشهر ما بنى فى القديم المدرسة النظامية ببغداد ، لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ، وهى منسوبة الى الوزير نظام الملك أبى على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسى ، وزير ملك شاه بن ألب أرسلان ابن داود بن ميكال بن سلجوق فى مدينة بغداد .

وشرع فى بنائها فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وفرغت فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ودرس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازى الفيروزبادى ، صاحب كتاب «التنبيه فى الفقه» على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه . فاقتدى الناس به من حينئذ فى بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر ، وفى بلاد الجزيرة وديار بكر .

وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ، ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة ، وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم .

وأول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان ، بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر ، فى خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس . فعمل ذلك بالجامع الأزهر ، كما تقدم ذكره ، ثم عمل فى دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم ، وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير . ثم بنى الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة ، كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب .

فلما انقرضت الدولة الفاطمية ، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر ، وأقام بها مذهب

(*) ص ٣٦٢ ج ٢ ، ط . بولاق .

الامام الشافعى ومذهب الامام مالك ، واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى . فانه بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية ، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر .

وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ، ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضا ، ثم المدرسة السيوفية التى بالقاهرة . ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين ، فى بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة ، أولاده وأمراؤه . ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا .

وسأذكر ما بديار مصر من المدارس ، وأعرف بحال من بناها ، على ما اعتدته فى هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب ، وبالله أستعين .

المدرسة الناصرية

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه .

هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ، ثم عرفت بابن زين التجار — وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى ، المعروف بابن زين التجار ، أحد أعيان الشافعية ... درس بهذه المدرسة مدة طويلة . ومات فى ذى القعدة سنة احدى وتسعين وخمسمائة — ثم عرفت بالمدرسة الشريفية ، وهى الى الآن تعرف بذلك ، وكان موضعها يقال له الشرطة .

وذكر الكندى أنها خطة قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، وعرفت بدار الفلفل . وقال ابن عبد الحكم : كانت فضاء قبل ذلك .

وقيل كانت هى والدار التى الى جانبها لنافع بن عبد الله بن قيس الفهرى ، فأخذها منه قيس بن سعد . وسميت دار الفلفل لأن أسامة ابن زيد التنوخى ، صاحب الخراج بمصر ، ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم ، فخزنه فيها . ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من بناء زيادة الجامع ، بنى هذه الدار شرطة فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة .

فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فى أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ، وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية — وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد ، وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة — وهى أول مدرسة عملت بديار مصر . ولما كملت وقف عليها الصاغة — وكانت بجوارها — وقد خربت ، وبقى منها شىء يسير قرأت عليها اسم * الخليفة العزيز بالله ، ووقف عليها أيضا قرية تعرف ......

وأول من ولى التدريس بها ابن زين التجار فعرفت به ، ثم درس بها بعده ابن قطيطة بن الوزان ، ثم من بعده كمال الدين أحمد بن

(*) ص٣٦٢ جـ٢ ، ط. بولاق .

شيخ الشيوخ ، وبعده الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفى — قاضى العسكر الأرموى — فعرفت به ، وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده الى اليوم . ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت ، فان الكيمان ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع فى الدنيا .

وقد ذكر حبس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب .

المدرسة القمحية

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر . كان موضعها يعرف بدار الغزل — وهو قيسارية يباع فيها الغزل — فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية ، وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ، ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر ، وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشية ، ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة .

وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ، ويتحصل لهم من ضيعتهم التى بالفيوم قمح يفرق فيهم ، فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم . وقد أحاط بها الخراب ، ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدثرت .

وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، خرج السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى ناحيتى الأعلام والحنبوشية — وكانتا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة — وأنعم بهما على مملوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما .

مدرسة يازكوج

هذه المدرسة بسوق الغزل فى مدينة مصر . وهى مدرسة معلقة بناها ... ...

مدرسة ابن الأرسوفى

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر . عرفت بابن الأرسوفى التاجر العسقلانى ، وكان بناؤها فى سنة سبعين وخمسمائة ، وهو عفيف الدين عبد الله ابن محمد الأرسوفى ، مات بمصر فى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

مدرسة منازل العز

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين . بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز ، وعرفت بمنازل العز ، وكانت تشرف على النيل ، وصارت معدة لنزهة الخلفاء ، وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن قتل ، وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها ، وهى باقية .

فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف ، أنزل فى منازل العز الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . فسكنها مدة ، ثم انه اشتراها والحمام

والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة ، وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين ، وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين ، واشترى جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة .

فلما أراد أن يخرج من مصر الى الشام ، وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ، ووقف عليها الحمام وما حولها ، وعمر الاصطبل فندقا ، عرف بفندق النخلة ، ووقفه عليها ، ووقف عليها الروضة .

ودرس بها شهاب الدين الطوسى ، وقاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى ، وعدة من الأعيان . وهى الآن عامرة بعمارة ما حولها .

الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان : هو ابن أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . قدم الى القاهرة فى ... ... ، واستنابه السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين . ثم نقله الى نيابة حماة ، وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثانى رمضان سنة ثمان وسبعين . فأقام بها .

ولحق السلطان على حلب ، فقدم عليه فى سابع صفر سنة تسع وسبعين ، فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائبا عنه بديار مصر — عوضا عن الملك العادل أبى بكر بن أيوب — فقدمها فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين ، وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش ، وأبقى عليه مدينة حماة .

ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان ، وهو بدمشق ، فى سنة ثمانين لأجل أخذ الكرك من الفرنج * فسار اليها وحصرها مدة ، ثم رجع مع السلطان الى دمشق ، وعاد الى القاهرة فى شعبان ، وقد أقام السلطان على مملكة مصر * ابنه الملك العزيز عثمان ، وجعل الملك المظفر كافلا له وقائما بتدبير دولته . فلم يزل على ذلك الى جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر .

فغضب الملك المظفر ، وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوى . فبلغ السلطان ذلك ، فكتب اليه ، ولم يزل به حتى زال ما به . وسار الى السلطان ، فقدم عليه دمشق فى ثالث عشرى شعبان ، فأقره على حماه والمعرة ومنبج وأضاف اليه ميافارقين ، فلحق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزبا ، فانه سار الى بلاد المغرب .

وكانت له فى أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص ، وعرفت له مواقف عديدة فى الحرب مع الفرنج ، وآثار فى المصافات . وله فى أبواب البر أفعال حسنة ، وله بمدينة الفيوم مدرستان : احداهما للشافعية ، والأخرى للمالكية . وبنى مدرسة بمدينة الرها ، وسمع الحديث من السلفى وابن عوف .

وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن ، وكان جوادا شجاعا مقداما ، شديد البأس ، عظيم الهمة ، كثير الاحسان . ومات فى نواحى خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة

(*) ص٣٦٤ جـ٢ ، طـ بولاق .

سبع وثمانين وخمسمائة ، ونقل الى حماة ، فدفن بها فى تربة بناها على قبره ابنــه الملك المنصور محمد .

مدرسة العادل

هذه المدرسة بخط الساحل ، بجوار الربع العــادلى من مدينــة مصر الذى وقف على الشافعى . عمرها الملك العــادل أبو بكر بن أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم ابن الفقيه جلال الدين أبى محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس ، فعرفت به ، وقيل لها مدرسة ابن شاس الى اليوم . وهى عامرة ، وعرف خطها بالقشاشين ، وهى للمالكية .

مدرسة ابن رشيق

هذه المدرسة للمالكية ، وهى بخط حمام الريش من مدينة مصر . كان الكانم من طوائف التكرور ، لما وصلوا الى مصر فى سنة بضع وأربعين وستمائة قاصــدين الحج ، دفعــوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بنــاها به ، ودرس بها فعرفت به ، وصــار لهــا فى بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثون اليها فى غالب السنين المال .

المدرسة الفائزية

هذه المدرســة فى مصر بخط ... ... أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد ابن وهيب الفائزى ، قبل وزارته ، فى سنة ست وثلاثين وستمائة . ودرس بها القــاضى محيى الدين عبد الله ابن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ، ثم قاضى القضاة صــدر الدين موهــوب الجــزرى ، وهى للشافعية .

المدرسة القطبية

هذه المدرسة بالقاهرة ، فى خط ســويقة الصاحب بداخل درب الحريرى ، كانت هى والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج التى تقــدم ذكرها . وأنشأ هذه المدرســة الأمير قطب الدين خسرو بن بلبــل بن شــجاع الهدبانى ، فى سنة سبعين وخمسمائة ، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعيــة . وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

المدرسة السيوفية

هذه المدرسة بالقاهرة ، وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحى . وقفهــا السلطــان السيد الأجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية ، وقرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتى ، ورتب له فى كل شــهر أحد عشر دينارا ، وباقى ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم ، وجعل النظر للجبتى ، ومن بعده الى من له النظر فى أمور المسلمين .

وعرفت بالمدرســة الســيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها ، وهى

الآن تجاه سوق الصنادقيين . وقد وهم القاضي محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، فانه قال فى كتاب « الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » : مدرسة السيوفية ، وهى للحنفية ، وقفها عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين .

وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم ؟ فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين *، وخطه على كتاب الوقف ، ونصه « الحمد لله وبه توفيقى » . وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

ووقف على مستحقيها اثنين وثلاثين حانوتا ، بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان ، وذكر فى آخر كتاب وقفها : أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول فى الشهادة والقضاء على لفظه بما تضمنه المسطور ، فشهدوا بذلك ، وأثبتوا شهادتهم آخره ، وحكم حاكم المسلمين على صحة هذا الوقف بعدما خاصم رجل من أهل هذا الوقف فى ذلك ، وأمضاه .

لكنه لم يذكر فى الكتاب اسجال القاضى بثبوته ، بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف ، وهم : على بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الأنصارى الدمشقى ، والقاسم بن يحيى ابن عبد الله بن قاسم الشهرزورى ، وعبد الله ابن عمر بن عبد الله الشافعى ، وعبد الرحمن ابن على بن عبد العزيز بن قريش المخزومى ، وموسى بن حكر بن موسك الهدبانى ، فى آخرين .

وهذه المدرسة هى أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر ، وهى باقية بأيديهم .

المدرسة الفاضلية

هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة . بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره ، فى سنة ثمانين وخمسمائة ، ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية ، وجعل فيها قاعة للاقراء : أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبى ناظم الشاطبية ، ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبى ، ثم الشيخ على بن موسى الدهان وغيرهم . ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندرانى .

ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم ، يقال انها كانت مائة ألف مجلد ، وذهبت كلها . وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر فى سنة أربع وتسعين وستمائة ، والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى ، مسهم الضر ، فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز ، حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ، ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت .

وبها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا ، مكتوب بالخط الأول الذى يعرف بالكوفى ، تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان — ويقال ان القاضى الفاضل اشتراه

(*) ص٣٦٥ جـ٢ ، طـ بولاق

بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه — وهو فى خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة .

والى جانب المدرسة كتاب برسم الأيتام . وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها ، وقد تلاشت لخراب ما حولها .

« عبد الرحيم » بن على بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد : القاضى الفاضل محيى الدين أبو على ، ابن القاضى الأشرف اللخمى العسقلانى البيسانى المصرى الشافعى ، كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان ، فلهذا نسبوا اليها .

وكانت ولادته بمدينة عسقلان فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . ثم قدم القاهرة ، وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال ، صاحب ديوان الانشاء فى أيام الحافظ لدين الله ، وعنه أخذ صناعة الانشاء ، ثم خدم بالاسكندرية مدة .

فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك ، خرج أمره الى والى الاسكندرية بتسييره الى الباب ، فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه فى ديوان الجيش . فلما مات الموفق بن الجلال فى سنة ست وستين وخمسمائة — وكان القاضى الفاضل ينوب عنه فى ديوان الانشاء — عينه الكامل بن شاور ، وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير ، فأقره عوضا عن ابن الجلال فى ديوان الانشاء .

فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب ، فأحضره وأعجبه اتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه . الى أن ملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه ، فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده ، فجعله وزيره ومشيره ... بحيث كان لا يصدر أمرا الا عن مشورته ، ولا ينفذ شيئا الا عن رأيه ، ولا يحكم فى قضية الا بتدبيره . فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه ، عند ولده الملك العزيز عثمان ، فى المكانة والرفعة وتقلد الأمر .

فلما مات العزيز ، وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ، ودبر أمره عمه الأفضل ... كان معهما على حاله . الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر ، وخرج الأفضل لقتاله ، فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت ، عند تولى الاقبال واقبال الادبار ، فى سحر يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة الصغرى .

قال ابن خلكان : وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمكن منه غاية التمكن ، وبرز فى صناعة الانشاء ، وفاق المتقدمين * ، وله فيه الغرائب مع الاكثار ... أخبرنى أحد الفضلاء الثقات ، المطلعين على حقيقة أمره ، أن مسودات رسائله فى المجلدات والتعليقات فى الأوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة ، وهو مجيد فى أكثرها .

وقال عبد اللطيف البغدادى : دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب ، وهو

(*) ص٣٦٦ جـ٢ ، ط. بولاق





تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر و النيل
وذكر القاهرة ومايتعلق بها وبإقليميها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقيّ الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزى رحمه الله ونفع بعلومه آمين.



عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية